

اكتساب اللغة الثانية

يعتبر اكتساب اللغة الثانية Second Language Acquisition أحد حقول علم اللغة التطبيقي الفرعية، وهو حقل جديد من المعرفة ظهر في النصف الثاني من القرن العشرين، وأصبح علماً مستقلاً منذ الثمانينات الميلادية، وشهد تطوراً هائلاً في السنوات الأخيرة، حيث ظهر عدد كبير من الكتب والمقالات والدراسات في هذا الموضوع. واكتساب اللغة الثانية هو العلم الذي يدرس الطريقة التي يتعلم من خلالها الإنسان لغة غير لغته الأم سواء أكان ذلك في فصول تعليم اللغة أو عن طريق التعلم الطبيعي للغة من خلال التفاعل مع الناطق الأصلي باللغة. ومصطلح اللغة الثانية يطلق على أية لغة يتعلمها الإنسان بعد أن يتقن لغته الأم. ومن هنا يقصد باكتساب اللغة الثانية تعلم اللغات الثانية والأجنبية على حد سواء، كما يقصد به أيضاً تعلم لغة ثالثة أو رابعة. إن الهدف الأساسي لحقل اكتساب اللغة الثانية وصف عملية الاكتساب اللغوي وتفسيرها، ودراسة العوامل الداخلية والخارجية التي تلعب دوراً بارزاً في عملية الاكتساب، وكذلك دراسة الظواهر المختلفة المتصلة بهذه العملية

ويهدف علم اكتساب اللغة الثانية إلى دراسة تطور المعرفة اللغوية والاستعمال اللغوي عند الأطفال والكلب الذين يتعلمون لغة ثانية بعد إتقانهم للغة الأولى. ويسعى المتخصصون في اكتساب اللغة الثانية - مثل قرنائهم من المتخصصين في اكتساب اللغة الأولى - إلى تفسير طبيعة اللغة وكيفية اكتسابها، أي ما يتعلمه المرء والكيفية التي تتعلم بها عملية التعلم اللغوي. وهناك موقفاً في الاكتساب اللغوي فيما يتصل بماتين المسألتين. المذهب التوليدي الذي يعتنقه المتخصصون في اكتساب اللغة الثانية من خلفية لغوية، يرون أن الدخول اللغوي فقير إلى درجة لا يمكنه تحقيق الاكتساب اللغوي بذاته، فالأكتساب في نظرهم يقاد داخلياً. ويرى أنصار هذا المذهب أن عقل الإنسان عبارة عن عدة وحدات، بعضها مخصص للغة. والباحثون المنضمون تحت لواء هذا المذهب لا زالوا يناقشون مدى قدرة البالغين على امتلاك وصول كامل أو جزئي لجهاز اكتساب اللغة، أو أنهم محجوبون عن هذا الجهاز. من ناحية أخرى الفطريون الذين تدربوا في أقسام علم النفس يؤمنون بأن الإنسان يولد وهو مجهز بالأدوات التي تمكنه من تحديد الأنماط والوصول إلى التعميمات، وأن هذه القدرة تسهل عملية تعلم أي مهارة معقدة بما فيها اللغة. تحت هذا المذهب تهتم بحوث اكتساب اللغة الثانية بطبيعة الدخول اللغوي الذي يغذي عملية التعلم من خلال التفاعل،

والآليات التي تعالج المعلومات (الانتباه على وجه الخصوص)، والاعتماد على أبنية المخ، ودور الفروق الفردية في تفسير النجاح المتفاوت في التعلم.

ويختلف اكتساب اللغة الثانية عن علم اكتساب اللغة الأولى، حيث يتفاوت متعلمو اللغة في سرعة اكتسابهم للغة الثانية، ودرجة إتقانهم للمهارات اللغوية المختلفة، ومستوى الكفاية اللغوية التي يحققونها في نهاية رحلة التعلم اللغوي، وهي من خصائص تعلم اللغات الثانية التي يسعى علم اكتساب اللغة الثانية إلى دراستها وتفسيرها. وعليه لا تقتصر وظيفة علم اكتساب اللغة الثانية على تحديد ما يشترك فيه المتعلمون أو ما يسمى الكليات التي لا يختلف فيها الناس عند اكتسابهم لأي لغة ثانية، بل تتعدى ذلك لتشمل تفسير دور الفروق الفردية في عملية اكتساب اللغة الثانية. ويتفق المتخصصون في اكتساب اللغة الثانية على أن متعلمو اللغة الثانية يتبعون طريقاً متشابهاً في عملية الاكتساب يمكن التنبؤ بها بصرف النظر عن لغاتهم الأولى وقابليتهم لتعلم اللغات وسياق الاكتساب، مع أن المتعلمون يتفاوتون في كفاءتهم في المرور بهذه المراحل. وبدون شك فسياق التعلم مسؤول جزئياً عن هذا التفاوت، فالدارسون في البرامج الانغماسية يتعلمون بشكل أسرع من الدارسين في برامج تعليم اللغات الأجنبية، ويحققون مستويات أعلى في الكفاية اللغوية. إضافة إلى ذلك تلعب الفروق الفردية مثل الدافعية والقابلية لتعلم اللغة والتوجهات دوراً مهماً في تفسير التفاوت بين المتعلمين في السياق التعليمي نفسه، فهناك على ما يبدو تفاعل بين آليات المعالجة الداخلية والفروق الفردية من جهة، والعوامل الخارجية مثل جودة وحجم الدخل اللغوي من جهة أخرى، مما يفسر سبب تفوق بعض المتعلمين في سرعة الاكتساب ومستوى المنتج النهائي.

ويختلف اكتساب اللغة الثانية عن اكتساب اللغة الأولى أيضاً في أن التطور المعرفي يحدث بالتزامن مع اكتساب اللغة الأولى، في حين يكون التطور المعرفي قد اكتمل عندما يبدأ الإنسان تعلم اللغة الثانية. ونظراً لأن اكتساب اللغة الثانية يحدث بعد اكتمال النمو المعرفي عند الإنسان، يحتاج متعلمو اللغة الثانية إلى توظيف كامل طاقتهم ومصادرهم المعرفية لتعويض القصور في مصادر تعلم اللغة الثانية سواء الخارجية (المتثلة في طبيعة الدخل اللغوي الذي يتعرض له متعلم اللغة الثانية، فهو أقل جودة وتواتراً من الدخل اللغوي الذي يتعرض له الطفل عند اكتسابه للغته الأولى) أو الداخلية (المتثلة في المصادر المعرفية المستترفة). إن هدف العلماء في مجال اكتساب اللغة الثانية توضيح القدرات المعرفية التي تجعل من الممكن تعلم اللغة الثانية واستعمالها، والفروق بين التخزين والمعالجة اللغوية في تعلم

اللغة الأولى والثانية، وهي فروق قد تختفي بعد أن يتم الوصول إلى مستوى معين في الاكتساب، وهذا هو أحد أهم إسهامات علم الاكتساب اللغة الثانية في فهم اكتساب المعرفة الإنسانية.